

الضوابط المنهجية للتفسير الموضوعي وأثرها في فهم مقاصد القرآن
الكريم: سور الأنعام ويونس والأحزاب نموذجاً

إعداد

عبد الله بن محمد الأنصاري

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والعلوم الإنسانيّة

قسم القرآن والسنة

كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانيّة

الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا

أبريل ٢٠٢١ م

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الضوابط المعينة على معرفة مقصد السور القرآنية ذات الموضوعات المتعددة والتي ظاهرها التعارض، ويوضح البحث معنى التفسير الموضوعي وأنواعه والمراحل التي مر بها منذ نشأته وتكوينه، كما تناول مفهوم السورة القرآنية باعتبارها قطعة معجزة من القرآن الكريم، وأنها تمتاز بالوحدة الموضوعية ولها قضية كلية مستقلة عن غيرها من السور، من جهة أخرى قسم البحث الضوابط إلى قسمين، ضوابط نقلية وضوابط عقلية؛ كما جعل آخر فصوله لتطبيق الضوابط العقلية والنقلية على ثلاث سور من القرآن الكريم وهي الأنعام ويونس والأحزاب. واستخدم البحث المنهج الاستقرائي بتتبع كل ما يتعلق بالتفسير الموضوعي للسورة في كتب التفسير بمختلف مناهجها، والأحاديث النبوية، والآثار ذات الصلة بالموضوع، وكذلك كتب التفسير بالرأي على مختلف أنواعها؛ كما استخدم المنهج التحليلي وذلك بدراسة الظاهرة ونقد الأطروحات غير الواضحة مع استنباط ضوابط منهجية معينة على فهم السور القرآنية. وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها أن السورة القرآنية لها وحدة موضوعية ومقصد رئيس تنتظم تحتها القصص والأمثال والأحكام الشرعية الواردة في السورة. كما توصل البحث إلى ضرورة الاستفادة من المخزون العلمي الذي تركه المفسرون وتوظيف ذلك في خدمة البحث الموضوعي عن مقصد السور القرآنية. كما أثبت البحث أن الاعتناء بالكتابة في ضوابط التفسير الموضوعي وتكوين مرجعية للباحثين في مقاصد السور له من الأهمية ما للضوابط الفقهية والأصولية التي سبقت الضوابط التفسيرية وتم تأصيلها وتأطيرها بشكل واضح، ذلك أن كتابة تفاسير تقوم على أساس مقصدي محدد بضوابط منهجية للسور القرآنية يكون له أبلغ الأثر على من يرغب في فهمها من خلال الوقوف على الترابط المحكم فيها.

ABSTRACT

This research paper aims on exposing the specific standards on knowing the intention of the verses of the Quran which has numerous subjects, and which they appear contradicting, this research paper also elaborates on the definition of the objective interpretations and its types and stages which it went through since its exposure and formation. It also addresses the understanding of the Quranic chapter considering it is a miraculous part of the Noble Quran, and it is distinguished by its own independent subject from other chapters. In addition to that, the standards in this research papers have been divided in two; logical standards and the revelation standards; and the final sections in both these standards were dedicated for three chapters of the Noble Quran – Al An'am (The Cattle), Yunus (Jonah), and Al Ahzaab (The Joined Forces). An Inductive methodology was used in the research paper to trace all that is related to objective interpretation of the Quranic chapter in various interpretation books, the Prophetic Hadiths, and comments of the Salaf (predecessors) of which are related to the subject, also, the research paper considered interpretation books that adopts opinions in their interpretations. In contrast, the research paper also used an analytical methodology by studying the phenomena and criticizing unclear dissertations with extracting specific methodological Quranic standards in understanding them. One of the most significant findings that the research paper has reached; among other findings, is that the Quranic chapter has its own individual objective and a main intention which aligns under it the stories, examples, and rulings of the Quranic chapter. The research paper also concludes that it is important to benefit from the scientific references that the interpretation scholars have left, and employ that to serve objective research on the intention of the Quranic chapters. It also concludes that it is important to consider writings in the standards in objective interpretations and to establish a reference for the researchers regarding the intentions of the Quranic chapters, because it is as important as jurisprudence standards and it's fundamentals which precedes interpretation standards, they all have been clearly established and framed and since interpretation writing is done based on specific intentional foundation and on methodological standards for Quranic chapters which has the most effect on whoever wishes to understand the chapters and it's strong interrelation.

APPROVAL PAGE

The thesis of Abdulla Mohammad Alansari has been approved by the following:

Radwan Jamal Yousef Elatrash
Supervisor

Saadeldin Mansour Gasmelsid
Internal Examiner

Thabet Ahmad Abdallah Abu-Alhaj
External Examiner

Layeth Suud Jasem
External Examiner

Akram Zeki Khedher
Chairman

DECLARATION

I hereby declare that this thesis is the result of my own investigations, except where otherwise stated. I also declare that it has not been previously or concurrently submitted as a whole for any other degrees at IIUM or other institutions.

Abdulla Mohammad Alansari

Signature: Date:

الجامعة الإسلامية العالمية-ماليزيا

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية استخدام الأبحاث غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠٢٠م محفوظة ل: عبد الله بن محمد الأنصاري

الصواب المنهجية للتفسير الموضوعي وأثرها في فهم مقاصد القرآن الكريم: سور الأنعام والأحزاب ويونس نموذجاً

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل وبأي صورة (آلية كانت أو إلكترونية أو غيرها) بما في ذلك الاستنساخ أو التسجيل، من دون إذن مكتوب من الباحث إلا في الحالات الآتية:

- ١- يمكن للآخرين اقتباس أية مادة من هذا البحث غير المنشور في كتابتهم بشرط الاعتراف بفضل صاحب النص المقتبس وتوثيق النص بصورة مناسبة.
- ٢- يحقّ للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ومكاتبها حق الاستنساخ (بشكل الطبع أو بصورة آلية) لأغراض مؤسسية وتعليمية، ولكن ليس لأغراض ربحية.
- ٣- يحقّ لمكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا حق استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكاتب الجامعات ومراكز البحوث الأخرى.
- ٤- سيزود الباحث مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعنوانه مع إعلامها عند تغير العنوان.
- ٥- سيتم الاتصال بالباحث لغرض الحصول على موافقته على استنساخ هذا البحث غير المنشور للأفراد من خلال عنوانه البريدي أو الإلكتروني المتوفر في المكتبة. وإذا لم يجب الباحث خلال عشرة أسابيع من تاريخ الرسالة الموجهة إليه، ستقوم مكتبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا باستخدام حقها في تزويد المطالب به.

أكد هذا الإقرار: عبد الله بن محمد الأنصاري

التوقيع:

التاريخ:

أهدي عملي هذا لكل شخص سخر نفسه ومواهبه ووقته لخدمة كتاب الله ﷻ تعلماً أو
تعليماً أو بحثاً أو تأليفاً.

كما أهدي هذا العمل لأمي الغالية ولزوجتي ورفيقة دربي وبناتي قرّة عيني الذين صبروا وهيئوا
لي الظروف المناسبة لإنجاز هذا الرسالة.

وأخيراً أهديه لأستاذي الذي أشرف على هذه الرسالة.

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أنعم بفضله وزيادته، وامتن علي بقدرته وإرادته، وزاد فضله وعم، ومن واسع فضله علي أكرم، فأتممت هذا البحث؛ أشكره ﷻ ولا أحصي عليه ثناء، هو كما أثنى علي نفسه ﷻ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علي طب القلوب ودوائها، ونور الأبصار وعافيتها، حبيبي محمد بن عبد الله ﷺ، أما وقد وفقني ربي الكريم المنان بإتمام هذا البحث، فإنه ومن باب من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فإنني أتقدم بخالص الشكر والامتنان والعرفان والتقدير للجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا، ممثلة في كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، وقسم دراسات القرآن والسنة علي وجه الخصوص، إداريين وموظفين وعمالاً، علي ما قدموه من خدمة ورعاية للعلم وأهله وطلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها، فجزاهم الله خير الجزاء، ووفقهم لما يحبه ويرضاه.

كما أني أتقدم بخالص الشكر وخاصته، والتقدير الوافر والجزيل لسعادة السيد الأستاذ المشارك الدكتور رضوان جمال الأطرش -حفظه الله ورعاه- الذي تفضل بقبول الإشراف والتوجيه علي هذا البحث، فقام خير القيام بالمتابعة والملاحظة والقراءة؛ فقد استفدت من توجيهاته القيمة، وخبرته الطيبة الواسعة، فقد ذلل لي الصعاب، وفتح لي أبواباً كانت مغلقة، وأشكره علي سماحته وتيسيره في التعامل، فبارك الله له في عمره وعلمه وصحته وعافيته وأهله، وأجزل له خير الجزاء في الدارين، ويسر له العسير كما يسر لنا. فجزاه الله خير الجزاء، وفي الختام أسأل الله النفع والقبول وتخليص العمل من الرياء.

فهرس محتويات البحث

ب.....	ملخص البحث
ج.....	ملخص البحث بالإنجليزية
د.....	صفحة القبول
ه.....	صفحة التصريح
و.....	صفحة الإقرار
ز.....	الإهداء
ح.....	الشكر والتقدير

الفصل الأول: خطة البحث وهيكله العام ١

١.....	المقدمة
٤.....	مشكلة البحث:
٥.....	أسئلة البحث:
٥.....	أهداف البحث:
٦.....	أهمية البحث:
٦.....	منهجية البحث:
٧.....	حدود البحث:
٧.....	الدراسات السابقة:

الفصل الثاني: ضوابط التفسير وعلاقتها بأصول التفسير ومناهج المفسرين

١١.....	والسورة
١١.....	المبحث الأول: المقصود بالضابط لغة واصطلاحاً
١١.....	المطلب الأول: الضوابط الفقهية عند الأصوليين

المطلب الثاني: الاستقراء ودوره في صناعة القواعد.....	١٥
المطلب الثالث: صياغة التعريف العلمي لضوابط التفسير الموضوعي	
للسورة القرآنية	١٧
المبحث الثاني: علاقة الضوابط بأصول التفسير ومناهج المفسرين وعلوم القرآن .	٢٠
المطلب الأول: أصول التفسير	٢٠
المطلب الثاني: مناهج المفسرين	٢٤
المطلب الثالث: علوم القرآن	٢٦
المطلب الرابع: علاقة هذه العلوم بضوابط التفسير الموضوعي للسورة	
القرآنية	٢٨
المبحث الثالث: السور القرآنية	٢٩
المطلب الأول: تعريف السورة القرآنية لغة واصطلاحاً	٢٩
المطلب الثاني: هل ترتيب السور توقيفي، أم توفيقى؟	٣١
الفصل الثالث: التفسير الموضوعي أنواعه، أهميته، تاريخه، وضوابطه.....	٣٦
المبحث الأول: المقصود بالتفسير الموضوعي وبيان أهميته	٣٦
المطلب الأول: تعريف التفسير الموضوعي	٣٦
المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.....	٤١
المبحث الثاني: تاريخ التفسير الموضوعي	٤٦
المطلب الأول: مرحلة النشأة والتكوين	٤٦
المطلب الثاني: مرحلة التطور والتدوين	٥٢
المطلب الثالث: مرحلة التنظير للتفسير الموضوعي	٥٨
المبحث الثالث: أنواع التفسير الموضوعي وضوابط البحث فيه	٦١
الفصل الرابع: الضوابط النقلية المعينة في فهم السورة.....	٦٨
المبحث الأول: القرآن والبيان وأثرهما في فهم السورة.....	٦٩

- المطلب الأول: القرآن والبيان ٧١
- المطلب الثاني: ضابط منهجي: تفسير السورة بالسورة ذاتها ٧٤
- المبحث الثاني: البعد التاريخي والاجتماعي المتعلق بالسورة ٨٢
- المطلب الأول: أسباب النزول وعلاقتها بالبعد التاريخي والاجتماعي
- لسور القرآن ٨٣
- المطلب الثاني: الأحاديث النبوية وعلاقتها بالبعد التاريخي والاجتماعي
- لسور القرآن ٨٧
- المبحث الثالث: نظم القرآن ومقتضيات السياق ٩١
- المطلب الأول: النظم، والكلام عموماً، ونظم القرآن خاصة ٩٢
- المطلب الثاني: مقدمة السورة وخاتمتها ٩٥

الفصل الخامس: الضوابط العقلية المعينة على فهم السورة القرآنية ٩٨

- المبحث الأول: حقيقة التدبر وعلاقته بفهم مقصد السورة ٩٨
- المطلب الأول: مفهوم التدبر ٩٩
- المطلب الثاني: السنن الإلهية في السورة القرآنية أساس التدبر ١٠٠
- المبحث الثاني: دروس وعبر من القصص والأمثال وعلاقتها بمقصد السورة
- القرآنية ١٠٩
- المطلب الأول: المقصود بالقصص القرآني وعلاقتها بمقصد السورة القرآنية ١١٠
- المطلب الثاني: المقصود بالأمثال القرآنية وعلاقتها بمقصد السورة القرآنية ١١٧

الفصل السادس: تطبيق الضوابط المنهجية على سورة الأنعام ويونس والأحزاب ١٢٢

- المبحث الأول: تطبيق الضوابط المنهجية على سورة الأنعام ١٢٢
- المطلب الأول: الضوابط النقلية المعينة على فهم سورة الأنعام ١٢٢
- المطلب الثاني: تطبيق الضوابط العقلية على سورة الأنعام ١٣٧
- المبحث الثاني: تطبيق الضوابط المنهجية على سورة يونس ١٤٠

- المطلب الأول: الضوابط النقلية المعينة على فهم سورة يونس ١٤١
- المطلب الثاني: تطبيق الضوابط العقلية على سورة يونس ١٥٦
- المبحث الثالث: تطبيق الضوابط المنهجية على سورة الأحزاب ١٦٢
- المطلب الأول: الضوابط النقلية المعينة على فهم سورة الأحزاب ١٦٣
- المطلب الثاني: تطبيق الضوابط العقلية على سورة الأحزاب ١٨١

الخاتمة ١٨٩

أهمّ النتائج ١٨٩

التوصيات ١٨٩

قائمة المصادر والمراجع ١٩٤

قائمة جداول

٧٨	جدول ٤,١
٨١	جدول ٤,٢
١٠٤	جدول ٥,١
١٠٧	جدول ٥,٢
١١٣	جدول ٥,٣
١١٤	جدول ٥,٤
١١٥	جدول ٥,٥
١٢٤	جدول ٦,١
١٤٢	جدول ٦,٢
١٤٤	جدول ٦,٣
١٤٤	جدول ٦,٤
١٤٧	جدول ٦,٥
١٦٤	جدول ٦,٦
١٦٥	جدول ٦,٧
١٦٥	جدول ٦,٨
١٦٩	جدول ٦,٩
١٧٠	جدول ٦,١٠
١٧١	جدول ٦,١١
١٧٧	جدول ٦,١٢

الفصل الأول

خطة البحث وهيكله العام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد..

فإن الله تعالى أنزل كتابه المعجز الحكيم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- على رسولنا محمد ﷺ وحفظه الله تعالى من التحريف والتبديل قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقد أمرنا الله عزوجل بتدبره قال تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ولتحقيق هذه الغاية العظيمة؛ اعتنى المفسرون بتفسير القرآن، فمنهم من يفسر القرآن بالمأثور، ومنهم من يفسره فقهياً، ومنهم من يفسره بالرأي، ومنهم من يفسره تفسيراً علمياً.

وقد ظهر مؤخراً ما يُسمى بالتفسير الموضوعي للقرآن الحكيم، وذلك في مقابل التفاسير الجزئية أو التحليلية. هذا النوع من التفسير يقوم على أساس الالتزام بأحد الألفاظ القرآنية وتتبعها في سياقاتها المختلفة بحيث يمكن من خلال ذلك نقل هذا اللفظ إلى درجة المفهوم أو المصطلح القرآني الذي لا يقتصر على السياق الذي ورد فيه، بل يتحرر من ذلك السياق ليصبح منهجاً مناسباً لكل زمان ومكان. وقد وضع هؤلاء منهجية علمية في البحث، والناظر للكتابات في هذا المجال يجدها متقاربة إذ إنها برغم اختلافها اليسير قائمة على منهج التتبع والاستقراء والتحليل.

وهناك نوعٌ آخر من التفسير الموضوعي يقوم على أساس اكتشاف الروابط بين اسم السورة وبين الآيات والموضوعات والقصص المختلفة في السورة الواحدة. ففي كثير من الأحيان تتضمن السورة القرآنية جملة من الموضوعات المختلفة، والأحداث التي ظاهرها التباين والتضاد، الأمر الذي يُفقد القارئ التواصل مع السورة، بل قد يعتقد كما اعتقد بعض العلماء عدم وجود

صلة بين تلك الموضوعات والقصص، واستدلوا على ذلك بنزول القرآن منجماً وفق الأحداث والوقائع.

إنَّ الرَّعْمَ بعدم وجود الوحدة الموضوعية للسورة أمر يتعارض مع الحكمة التي يُنَزَّه عنها كتاب الله ﷻ، وإثباتها تأكيداً على إعجاز القرآن الكريم. ومن هنا تأتي الحاجة لوضع منهجية علمية يمكن من خلالها معرفة موضوع السورة القرآنية، واكتشاف الروابط بين أجزائها المختلفة. إنَّ التأمُّل في بعض السور القرآنية يلاحظ التباين بين موضوعاتها، وعلى سبيل المثال سورة الأنعام فاسمها يجعل التالي لها يعتقد أنَّ السورة سوف تتناول أحكام الإبل والبقر والغنم، ولكنها عند التأمل لم تبدأ بذكر الأنعام إلا بعد أكثر من مائة آية، علماً بأن عدد آيتها هو مائة وخمس وستون آية، جلها يتضمن موضوعات مختلفة، فمطلعها يتحدث عن تكذيب الأمم واستهزائها بأنبيائها وبيان عاقبة أفعالهم والمصير الذي أعده الله لهم، وبعد ذلك يأتي ذكر قصة إبراهيم مع أبيه آزر وقومه الذين اتخذوا الأصنام آلهة من دون الله، وبيان الحجج والبراهين التي جادل بها إبراهيم عليه السلام قومه. وبعد هذا كله يأتي ذكر الأنعام في آخر السورة، ومع هذا فالحديث عن الأنعام يقتصر على ما أحدثه كفار قريش من تحريم وتحليل لهذه الأنعام، هذا التحريم لا يقتصر على الأكل والشرب، بل يتجاوز ذلك إلى تحريم ركوب بعض أنواعها. وتُختم السورة بذكر موسى وإبراهيم عليهما السلام. هذا التباين الظاهري يجعل القارئ يفقد التواصل مع المقصد الرئيسي لهذه السورة.

ومثل ما قيل في سورة الأحزاب يمكن أن يقال في سورة يونس، فاسمها يشعر أن الحديث سيدور حول قصة نبي الله يونس عليه السلام، كما هو الحال في سورة يوسف، إلا أنَّ السورة لم تأتِ على ذكر يونس عليه السلام، بل ذكرت لنا أمراً واحداً يتعلق بقوم يونس وذلك في آية واحدة فقط، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخُرْزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، أما بقيت السورة فتتضمن موضوعات مختلفة لا يبدو للناظر أنَّ لها علاقة بقوم يونس عليه السلام، وهذا ما حمل بعض المفسرين على القول بأن اسم السورة يكون لأدنى ملابسة، ونفى وجود علاقة بين اسم السورة وموضوعاتها.

ومثال أخير سورة الأحزاب فاسمها يجعل القارئ يعتقد أنّ السورة سوف تتناول غزوة الأحزاب بتفاصيلها، إلا أنها تتناول موضوعات مختلفة كتحریم التبي، وزوجات النبي عليه الصلاة والسلام وما يتصل بذلك من تخيير النبي ﷺ لمن بين الطلاق والبقاء، وحرمة نكاحهن بعد وفاة النبي ﷺ، وأمرهن بالحجاب، وكذلك آداب الدخول على النبي ﷺ، وختم السورة بذكر موسى عليه السلام وتبرئته مما قاله بنو إسرائيل في حقه.

كل تلك القضايا التي ظاهرها التعارض مع اسم السورة ابتداءً، ذلك أنّ الحديث عن الأحزاب لم يأخذ الحيز الذي أخذته الموضوعات الأخرى، يُضاف إليه التباين الظاهري بين موضوعات السورة. ليس هذا فحسب بل يجعل معرفة مقصد السورة الرئيسي أمراً خفياً.

ولتوضيح المقصود بالضوابط نضرب مثلاً بسورة يونس، فمن خلال تتبع الآيات المتضمنة للقضايا الجدلية المثارة في زمن النبي ﷺ لقومه نجدها متعلقة باستعجال قومه للعذاب؛ سخريّةً واستهزاءً، والنبي مأموراً باتباع الوحي والصبر على أذاهم حتى يأتي أمر الله وهذا ما سار عليه الأنبياء من قبله كنوحٍ وموسى وهارون الذين جاء ذكرهم في السورة. ورغم ذلك سُميت السورة باسم نبي الله يونس الذي خرج من بين ظهرائي قومه ولم يصبر حتى يحكم الله فناسب أن تسمى السورة باسمه تأكيداً على هذا المقصد وختمت بقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْ مَا يُوحى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، وتحت هذا المقصد نفهم القصص الواردة فيها وأسباب النزول والقضايا الجدلية فيها.

إنّ ما بُدِل من مجهود في هذا المجال أمر عظيم ولكنه يحتاج إلى مراجعة، ذلك أنّه يقتصر على وصف السورة، وتقسيمها إلى مقاطع متجانسة، ومن ثمّ استخلاص بعض الحكم والدروس.

والإجابة عن تلك التساؤلات تحتاج لمزيد من الاستقراء للنص القرآني، واستنباط الضوابط المنهجية المعينة على فهم موضوع السورة القرآنية للوقوف على المقصد الأساسي فيها. هذا المنهج لا يقوم على أساس إهمال تلك المناهج المختلفة التي مر بها علم التفسير، بل المقصود إيجاد رابط منهجي وحلقة وصل بين جميع هذه المناهج يُسهّم في صياغة هذا المنهج المنضبط لفهم سور القرآن الكريم، فإن فهمها غير محصور في زمان أو مكان وقد بين ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سأله أبو جحيفة رضي الله عنه: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي

كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهَمَّا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ، ...»^١.

مشكلة البحث:

يعد التفسير الموضوعي مرحلة جديدة من مراحل التفسير القرآني، لأنه يقوم على أساس معرفة عماد السورة و علاقته بمحاورها. وقد حاول بعض الباحثين صياغة منهجية يمكن من خلالها التوصل إلى ذلك، إلا أن هذه الدراسات اقتصر على تقسيم السورة إلى وحدات موضوعية وإعطائها عناوين فرعية، ومن ثم إطلاق عنوان جامع لهذه الموضوعات، وهو عنوان عام يصلح أن يكون مقصداً لكثير من السور. وافتقدت هذه المحاولات للضوابط المُحدَّدة لهذه اللون من ألوان التفسير الموضوعي^٢، وهذا النوع من الدراسة يمكنه أن يسهم في بناء موسوعة قرآنية للموضوعات الأساسية لكل سورة، وتلك الموضوعات تعين المسلم على تدبر كتاب الله ﷻ لكي يتوصل إلى معالجة قضاياها الكبرى في عالم مليء بالمتغيرات.

ولم يظهر مصطلح التفسير الموضوعي في أي عصر من العصور السابقة بدءاً من العصر النبوي وعصر الصحابة وعصر التابعين والتدوين، وبقي الأمر دون أن تكون هناك حاجة له إلا في ثنايا كتب التراث التي جمعت بعض الموضوعات ذات الهدف الواحد؛ وهذا بحد ذاته يجعل الحديث عن التفسير الموضوعي تحدياً كبيراً لطلبة العلم والذين اقتضت الحاجة أن يبحثوا حوله وتحديد معالمه.

وقد ركزت الدراسة على نوع واحد من أنواع التفسير الموضوعي، وهو التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، وذلك يعود لندرة الأبحاث التي تناولت الضوابط المنهجية والأطر العلمية التي تحكم هذا اللون من ألوان التفسير الموضوعي، بل إن بعض الدراسات تنفي وجود الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية^٣.

^١ أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: محمد الناصر، كتاب: الجهاد والسير، باب: فكاك الأسير، (بيروت: دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ)، ج ٤، ص ٦٩، رقم ٣٠٤٧.

^٢ انظر: أحمد الوتاري، فقه السورة القرآنية، (دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

^٣ زياد خليل الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي، (عمان: دار البشير، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

أسئلة البحث:

البحث سوف يجيب عن الأسئلة الآتية:

١. ما مفهوم الضوابط المنهجية؟
٢. ما المقصود بالتفسير الموضوعي للسورة وما أهميته، وما سر غيابه في عهد رسول الله ﷺ؟
٣. ما المراد بالسورة القرآنية وماهي خصائصها، وهل من الممكن معرفة موضوع السورة من خلال اسم السورة؟
٤. ما الضوابط النقلية المعينة على فهم السورة؟
٥. ما الضوابط العقلية المعينة على فهم السورة؟
٦. هل من الممكن تطبيق هذه الضوابط على بعض سور القرآن الكريم؟

أهداف البحث:

وسوف يحقق البحث الأهداف الآتية:

١. تحديد مفهوم الضوابط المنهجية.
٢. توضيح المقصود بالتفسير الموضوعي وأهميته وبيان سر غيابه في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه وظهوره في زماننا هذا.
٣. بيان المراد من السورة ومعرفة خصائصها، ومدى إمكانية تحديد موضوع السورة من خلال اسم السورة وما يتعلق به من قضايا.
٤. استنباط الضوابط النقلية بمختلف أنواعها، والمعينة على فهم السورة القرآنية.
٥. استخراج الضوابط العقلية المعينة على فهم السورة القرآنية.
٦. تطبيق الضوابط المنهجية على بعض سور القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث في هذا الموضوع في النقاط الآتية:

١. قلة الدراسات التي تناولت الضوابط المنهجية في فهم السور القرآنية بشكل مستقل.
٢. اقتصار بعض الدراسات على تقسيم السورة بشكل موضوعي تبعاً لتسلسل الموضوعات الواردة فيها، وإطلاق مقاصد عامة قد تناسب الكثير من سور القرآن، مما جعل الحاجة ماسة إلى إيجاد قاعدة منهجية منضبطة توفق بين مناهج التفسير المختلفة أمراً ضرورياً.
٣. فتح المجال أمام الباحثين إلى جعل هذه الضوابط محل اختبار وتمحيص للتأكد من فاعليتها، كما يفتح الباب لدراسات جديدة في هذا المجال.
٤. إمكانية إيجاد تفسير متكامل لغير المسلمين يسهم في فهم عام لمقصد سور القرآن الحكيم ويكون نواة لفهم التفاسير الجزئية المقدمة لهم من خلال هذا النوع من البحوث.

منهجية البحث:

سوف يعتمد البحث على منهجين من مناهج البحث:

١. المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال تتبع الجزئيات الخاصة بكل ما يتعلق بالتفسير الموضوعي للسورة في كتب التفسير بمختلف مناهجها والأحاديث النبوية والآثار ذات الصلة بالموضوع وكذلك كتب التفسير بالرأي على مختلف أنواعها.
٢. المنهج التحليلي: وذلك بدراسة الظاهرة ونقد الأطروحات غير الواضحة مع استنباط ضوابط منهجية معينة على فهم السورة القرآنية.

حدود البحث:

تم اختيار ثلاث سورٍ من القرآن الكريم، على أن تكون سورة من كل عشرة أجزاء، من طوال المفصل ووسطه، وهي سور الأنعام، ويونس، والأحزاب؛ وذلك نظراً لتنوع موضوعاتها، الأمر الذي يجعلها مناسبة لاختبار الضوابط المنهجية التي يستنبطها البحث، ومعرفة صدقها وثباتها.

الدراسات السابقة:

حسب الاطلاع المتواضع للباحث حول الدراسات والأبحاث التي قُدمت في هذا المجال، فسوف يناقش البحث القضايا التي تناولها بعض الباحثين في هذا الموضوع، ومنها:

كتاب "التفسير الموضوعي بين النظرية التطبيقية"^٤ للأستاذ صلاح عبد الفتاح الخالدي، قسّم الأستاذ كتابه إلى قسمين، الأول نظري والثاني تطبيقي، تناول في الشق النظري الفرق بين التفسير والتأويل، وذكر أن التفسير أساسه الألفاظ والكلمات وفهمها من خلال الروايات وأسباب النزول وأقوال الصحابة والشواهد الشعرية، وبيّن أنّ التأويل هنا هو إعمال العقل في الجمل والتراكيب واللطائف والإيحاءات والمعاني البعيدة غير المتبادرة للذهن وهذا يعتمد على المهوبة والملكة التي يتفاوت فيها الناس. وأكد على ضرورة التضلع من التفسير قبل الانتقال إلى مرحلة التأويل. ثم ذكر المؤلف الأطوار التي مر بها التفسير وصولاً إلى التفسير الموضوعي. وذكر جملة من الخطوات التي يقوم عليها التفسير الموضوعي سواء للمصطلح القرآني أو للسورة القرآنية. ورغم تأكيد المؤلف في بداية الكتاب على أهمية التفاسير الجزئية في الوصول إلى التفسير الكلي للسورة إلى أنّه لم يضعها ضمن الخطوات الموصلة لمعرفة موضوع السورة، وغالب الخطوات قائم على أساس تقسيم السورة الطويلة إلى أقسام حسب الموضوعات، واستخلاص الحقائق والدلالات وربطها بالواقع المعاصر، وبعدها تأتي مرحلة التبويب والصيغة.

وسوف يستفيد الباحث من هذا الكتاب في تتميم الجوانب التي لم يعطيها الباحث حقها، كأهمية اسم السورة في معرفة مقصدها، والسياق وأهميته في فهم موضوع السورة الأساسي، ومناقشة قضايا لم يتعرض لها المؤلف في كتابه تتعلق بأسباب النزول والتفاسير بأنواعها

^٤ صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية التطبيقية، (عمان: دار النفائس، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

المختلفة وأهميتها للتفسير الموضوعي، تلك الأهمية التي أشار لها المؤلف ولكنه لم يتعرض لكثير من جوانبها عند ذكر الخطوات المنهجية لتفسير السورة القرآنية.

كتاب "منهجية البحث في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم"^٥ للدكتور زياد خليل محمد الدغامين، ركز الدكتور في المقدمة على أهمية التوجه نحو التفسير الموضوعي، وأنه لا تعارض بينه وبين التفسير التحليلي، وأنا نحتاج لمنهجية متكاملة للتعامل مع النص القرآني، ثم ناقش جهود العلماء في هذا الميدان قديماً وحديثاً، ونقدها بشكل جيد. إلا أن الدكتور أكد أن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام لا تشكل دعامة رئيسية في فهم موضوع السورة، وأن العمل بهذه المنهجية يجعل الموقف إسلامياً وليس قرآنياً، وبهذا يقلل من أهمية أسباب النزول ودراسة السيرة النبوية في القضايا التي تناولتها الآيات. ومن القضايا المهمة التي أشار إليها الدكتور أن اسم السورة لا يترجم عن مقصودها، وذلك أن السور لها أسماء مختلفة، وأن هذا الأسماء أُطلقت باعتبار مغاير. وهذا يناهز القول بأن اسم السورة مترجم عن مضمونها. وهذا ما سنناقشه في هذه الدراسة بالتفصيل، فإن ثبت لنا بالبحث أن اسم السورة توقيفي، فالحكمة تقتضي وجود علاقة بينها وبين مضمون السورة؛ لأنها بمثابة العنوان لها، وعدم معرفتنا لتلك العلاقة لا يعني نفيها.

وأعتقد أن أهم القضايا التي ناقشها المؤلف قضية العقبات التي تواجه التفسير الموضوعي، ومن أهمها اختلاف المفسرين في تحديد موضوع السورة الواحدة، أو اختيار موضوع فضفاض يصلح لأن يكون موضوعاً لعدة سور، ما دفع البعض إلى نفي وجود الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية. وهذه القضايا التي طرحها الدكتور سيكون لها نصيب في هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

كتاب "الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والسورة القرآنية"^٦ للدكتور محمد أحمد سعيد الأطرش، وسيتناول البحث الفصل التاسع من هذه الدراسة، وذلك لصلته الوثيقة بموضوع الدراسة، حيث تناول في المبحث الأول من هذا الفصل الوحدة الموضوعية في السورة ومنهج

^٥ زياد خليل الدغامين، منهجية البحث في التفسير الموضوعي، (عمان: دار البشير، ط ١، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

^٦ محمد أحمد سعيد الأطرش، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم والسورة القرآنية، (الاسكندرية، دار الإيمان، ط ١، ٢٠٠٨م).

البحث فيه. كما أشار إلى مسألة مهمة وهي إنكار بعض العلماء فكرة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وعزوا الخطأ للصحابة الذين جمعوا القرآن ورتبوه على هيئة سور وأجزاء. إلا أنه لم ينفذ هذه الشبهه، وتفنيدها يعتبر بمثابة حجر الأساس في فكرة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية. وهذه القضية ستناقشها الدراسة بشكل مفصل نظراً لأهميتها في الدراسة، وذكر مسألة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي أهمية معرفة طريقة القرآن الكريم في معالجة الموضوعات الجزئية، كما أنه يعتقد أن موضوع السورة ليس اجتهادياً يجتهد فيه المفسرون للتوفيق بين موضوعات السورة، بل من الممكن وضع منهج يمكن من خلاله الوصول لموضوع السورة، ثم بين ذلك المنهج، وركز فيه على مقدمة السورة وخاتمها، ودورهما الأساسي في معرفة مقصد السورة.

ولكنه لم يناقش حدود مقدمة السورة، وحدود خاتمها. كما نفت الدراسة وجود علاقة بين اسم السورة وموضوعها واستدل على ذلك بجملة من القضايا، وسوف تناقش الدراسة هذه الأدلة وتحاول إثبات عكسها.

كتاب "فقه السورة القرآنية مقدمة في الأصول العامة لمنهج دراسة البناء الموضوعي للسورة القرآنية"^٧ للأستاذ أحمد الوتاري، تناول الأصول العامة لمنهج دراسة البناء الموضوعي للسورة القرآنية، وقسمها إلى قسمين، قسم تأسيسي يتعلق بالخصائص العامة للسورة القرآنية، وقسم تطبيقي يبين الخطوات التي يمكن من خلالها معرفة البناء الموضوعي للسورة. وخلاصة الدراسة أن الباحث يرى أن معرفة موضوع السورة قائم على أساس الانتقال من الجزء إلى الكل بدءاً من غرابة أقوال المفسرين ومحاولة الوقوف على مقدمة السورة وخاتمها ومعرفة خصائص أسلوبها والمفاهيم القرآنية فيها، ومن ثم تُقسم السورة إلى أجزاء متجانسة أكثر وضوحاً، وتكوين ظن غالب حول مضمونها ومعرفة مقاصدها، ثم جمع هذه المقاصد تحت مقصد كلي أكبر يتناسب مع المقدمة والخاتمة والمفاهيم والمفردات الرئيسية الواردة فيها. وأخيراً بناء نموذج أولي يتضمن عنوان كلي، يندرج تحته عناوين فرعية، هذا النموذج مرشح للنقد وإعادة البناء نظراً لتباين العقول وقدرتها على التعبير.

^٧ أحمد الوتاري، فقه السورة القرآنية، (دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

هذه هي خلاصة الجانب النظري من الدراسة إلا أنه اختار عشر سور من قصار المفصل لا تعدد في موضوعاتها، كما أنه ربط اسمائها بموضوعات مفترضة لم تذكر في سياق السور أصالة، فعلى سبيل المثال وضع عنوان (ما بعد الاستخلاف في الأرض) لتفسير سورة الزلزلة، وعنوان (حين تطغى الأمم) لتفسير سورة الفيل. يُضاف إلى ذلك أن معالجته للسورة يقرب وبشكل كبير من دراسة المفهوم القرآني أو المفردة القرآنية وهما من أنواع التفسير الموضوعي الذي أشرنا إليها في مقدمة الدراسة.

هذه الدراسات وغيرها مما تيسر الاطلاع عليها تحتاج لمزيد من التحرير وإضافة قضايا أخرى متعلقة بأسباب النزول، والأحاديث النبوية، وكتب السيرة والتاريخ التي يمكن من خلالها تشكيل الجو العام للسورة أثناء النزول، مع مراعاة السنن الكونية التي تتكرر في كل زمان ومكان، والتركيز على الجمل والمفردات وقضايا لها علاقة وثيقة بالأسلوب القرآني وجوانبه اللغوية المختلفة.

الفصل الثاني

ضوابط التفسير وعلاقتها بأصول التفسير ومناهج المفسرين والسورة

المبحث الأول: المقصود بالضابط لغة واصطلاحاً

تعتبر فكرة وضع الضوابط في علوم الشريعة فكرة أصولية مبنية على أساس استقراء الأحكام الفقهية العملية واستنباط قاعدة تعمها كلها أو أغلبها. وبما أن البحث يهدف إلى دراسة السور القرآنية واستنباط ضوابط للتفسير الموضوعي يمكن من خلالها ربط موضوعات السورة الواحدة، وفهم مقاصدها الرئيسية، اقتضى الأمر دراسة القواعد الفقهية والطريقة التي اعتمدها العلماء في استنباط تلك القواعد، والنظر فيها والاستفادة منها من أجل الوصول إلى صيغة مناسبة لمصطلح (ضوابط التفسير الموضوعي للسورة القرآنية)، وصياغة تعريف خاص ومختلف لهذه الضوابط في بعض جوانبه عن التعريف الأصولي المتعلق بالأحكام الفقهية، وذلك من خلال الآتي:

المطلب الأول: الضوابط الفقهية عند الأصوليين

لم يفرق المتقدمون من علماء الأصول بين القاعدة الفقهية والضابط الفقهي، ولكن جاء التفريق بينهما متأخراً، ففي المصباح المنير: (والقاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط..)^١، وذهب المتأخرون إلى القول بأن القاعدة تُعم جميع أبواب الفقه والضابط ما كان مختصاً باب معين، قال ابن نجيم: "والفرق بين الضابط والقاعدة أنّ القاعدة تجمع فروعاً من أبواب شتى، والضابط يجمعها من باب واحد"^٢. وليس المقصود هنا مناقشة الفرق بين القاعدة والضابط عند الفقهاء، فكلاهما بمعنى واحد إجمالاً، فجميعها يتعلق بالأحكام الفقهية سواء كانت تلك القواعد عامة

^١ محمد محمد ياسين، ضوابط القطعي من تفسير القرآن الكريم، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم بدبي، ط ١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م)، ص ٣١.

^٢ زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة الثعماني، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ١٣٧.